U.S.A .. سرية للغاية

كانت وكالة المخابرات المركزية الاميركي هي المسؤولة بالاسم، عندما طارت طائرات الهليكوبتر البحرية (سليز) في عمق الفضاء الباكستاني، مزودة برادار المراوغة في شهر أيار الماضي لقتل أسامة بن لادن، وأيضا عندما أطلقت الطائرات بلا طيارين صواريخها لقتل أنور العولقي في اليمن، الشهر الماضي.

ولكن جهاز التجسس الأميركي الخرافي لم يظهر في كلا الطلعتين الجويتين بسبب مجموعة سرية تقوم بأكثر من ١٠ طلعات حسب تعليمات الـ CIA.

وهذه المجموعة لها قاعدة في نورث كارولاينا، وتدير بنفسها وحدتها التجسسية، ولها طائراتها الاستطلاعية ولها أقمارها الفضائية الخاصية. وقادتها لا يتحدثون أمام الملأ علنا، وليس لها متحدث باسمها أو موقع الكتروني عام.

في كتاب "أميركا.. سري للغاية"، ويقوم المؤلفان اللذان يعتبران من أفضل الصحفيين في مجال التقارير السياسية وهما دانا بريست ووليام اركن، بسحب الستار عن هذه المجموعة السرية (JSOC) أو قيادة العمليات السرية المشتركة، من أجل الكشف عن جيش سري – يغذي نفسه – والذي أسر أو قتل الأكثر من متمردي القاعدة، عن كافة قوات الحكومة الأميركية مجتمعة.

إن هذا الكتاب له أهمية كبيرة، سجل يقطع الأنفاس في تتبع في العالم السري الأميركي، وهو في الوقت نفسه. ليس سهل القراءة، ولكنه يقدم دليلا لكل واحد ينتابه القلق حول النمو في مجال المتفجرات والذي يسميه المؤلفان صناعة الإرهاب المعقدة منذ عقد من الزمن، أي بعد أحداث ١١ أيلول.

وكتابهما الذي اعتمد على مئات من المقابلات، يرسم المؤلفان خريطة كبيرة غير مرئية لعالم مواز فيه أكثر من ١,٣٠٠ من العملاء، وتقريبا ٢,٠٠٠ من الشركات الخاصة، و ٨٥٤,٠٠٠ شخص يتولون أعمالا غاية في السرية، أن نفقات هذا العالم – ضد الإرهاب – قد تجاوز الخيال، ودون أن يعرف به حقا، أي عضو في الكونغرس أو أي شخص أخر، وتبقى أعمالهم سرية تماما.

بعض الأمثلة: انفق مبلغ ٨١ بليون دولار في جمع المعلومات الخارجية، في حين أن الشعبة السرية للحكومة لها ميزانية محددة بـ ٥٨ بليون، كما أن البنتاغون ينفق بلايين أخرى للأمن الداخلي وضد الإرهاب. ومع وجود هذه النسخ من الوكالات، والمكاتب والبرامج، فان "مواجهة الإرهاب جهد متشعب مضطرب بـ "الخلل الوظيفي".

إن الكاتبة بريست التي فازت بجائزة البوليتزر عن تقاريرها الصحفية، هي الدليل على هذا العالم القاسي تزور الأماكن المشبوهة، المشكوك بها في البلاد، وتقاسم إحباطها مع ما تسميه، "المباني التي لا عنوان لها، مكاتب بلا أرضيات وحروف أسماء بلا تفسير".

أما اركن فقد اهتم بالدخول إلى وثائق حكومية لا يمكن اختراقها، للكتابة عن الأسلحة النووية والأسماء السيئة.

وفيما تبحث برتست ما تحت الأرض والأسرار فيه، كان اركن يبحث عن خدمات ما فوق الأرض . ويقول الكتاب أن الموقع السري المشار إليه يقع على عمق ٩٠,٠٠٠ قدم مربع تحت الأرض، ويعلوه مهبط لطائرات الهليكوبتر. وهو بذلك أكبر مستودع للحكومة ويقول اركن أن ٣٣ مجمعا كبيرا قد شيد حول واشنطن لأعمال الاستخبارات السرية، في الأعوام الأخيرة تعادل مساحتها ثلاثة أضعاف البنتاغون. وهذا لا يتضمن خمسة مبان جديدة من اجل توسيع الـ CIA، كما شيد مبنى جديد للأمن الوطني في اوتاوا وعشرات أخرى في شتى أرجاء البلاد.

ويقول الكاتب أن معظم المباني تشيد من مقاولين يتم التعاقد معهم بسرية، وهؤلاء يكونون نسبة ٢٠٪ من القوة العاملة في وكالات الاستخبارات ولكنهم يكلفون ٤٩٪ من ميزانية الأفراد.

هل أن النظام المنتفع فعال؟ ويشير المؤلفان إلى دراسة جديدة لإدارة الاستخبارات المركزية (مجموعة أخرى تأسست حديثا)، إن المؤامرتين اللتين أوشكتا على قتل جماعي في الولايات المتحدة محاولة تفجير طائرة نورث ويست فوق ديترويت في كانون الأول عام ٢٠٠٩، ومحاولة تفجير سيارة في ساحة نيويورك تايمز في آذار ٢٠١٠ لقد فشلت الاثنتان لأن القائمين عليها لم يكونوا من الخبراء، وليس بسبب جهود أميركا.

وأعلن روبرت غيتس، وزير الدفاع الأميركي السابق للمؤلفين انه مرعوب من الخوف الدائم بسبب القنابل القذرة، والجراثيم القاتلة، وتهديدات أخرى كما حدث في بيرل هاربر. وقد نظرت محاكم أميركا في ٤٦ قضية إرهاب ضمت ١٢٥ متهما.

ويضيف غيتس "وهذا يعني أن عدد المتطرفين قليل جدا وعلينا أن نلجأ إلى الهدوء".

في أميركا لا يوجد بهذا الصدد أبطال أو أشرار إنها فقط قضية أسعار النظام. وبعد مأساة الحادي عشر من أيلول، منح الكونغرس صكا مفتوحا لوكالات الاستخبارات الأميركية ودون حساب.

ولكن الكتابين بريستت وأركان، بذلا جهدا ليقدما للعالم هذا الكتاب.

عن (النيويورك تايمز)

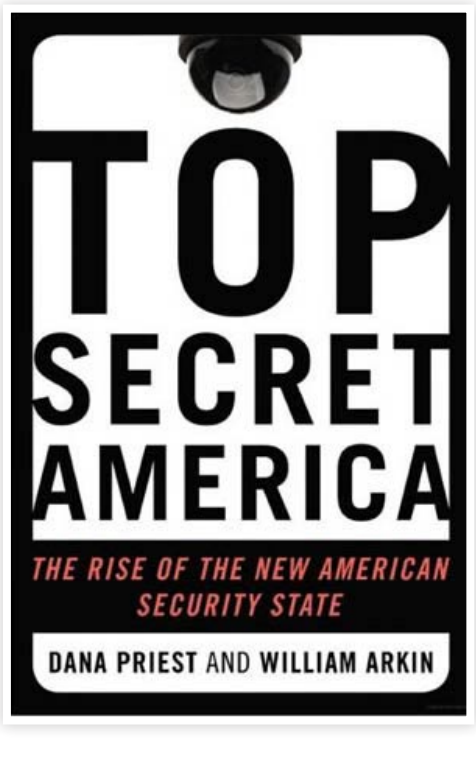

الكتاب: "أميركا السرّية للغاية"
تأليف: دانا بريست ووِيليام م. أركن
ترجمة: ابتسام عبد الله

هل اقتربت نهاية العالم حقا؟

من خلال الحكم على أفلام الكوارث الطبيعية المنتجة في السنوات الأخيرة، فان البشر مأخوذون بفكرة نهاية العالم. ففي فيلم (بعد ٢٨ يوما) يدمر فيروس المملكة المتحدة و ما وراءها، و في أفلام (الصدمة العميقة) و (ارماجيدون) يشكل احد الأجرام تهديدا مدمرا، أما فيلم (بعد غد) فان تغيير المناخ يلعب دورا كبيرا في نهاية العالم .

في العالم الحقيقي، لا ندري كيف و متى ستلاقي الأرض نهايتها. التفكير و التكهن بهذا الحدث كان و لا يزال من أهم الأمور التي تشغل الديانات الكبرى : فكلها لديها بعض الأفكار عن كيفية لقاء البشر بخالقهم. في الواقع أن " يوم الحساب " هو وسيلة الخالق لتطهير كوكبنا و خلق جنس جديد أكثر نقاوة منا ليعيش على الأرض، إذ أن الذنوب و التهتك قد جاوزت حدودها و آن الأوان للبدء من جديد .

إن قصص الكبريت و الحرائق و الآلهة تقدم حكايات جيدة تثير مخاوف البشر من الهلاك، إلا أن حكايات يوم الحساب المفتعلة لا تساوي شيئا إذا ما قورنت مع ما يمكن حدوثه فعلا. إذا ما نظرنا بعين العلم فسنرى أن " النهاية " تسبب قلقا اكبر .

منذ بدء الحياة على الأرض قبل ما يقارب ثلاثة مليارات سنة و نصف، كان الوجود الهش يعيش في ظل الدمار و الإبادة، فالانقراض هو المعيار في هذا الكوكب. فمن بين أربعة مليارات جنس نشأت على هذه الأرض لم يبق منها سوى واحد في المئة. و خلال الخمسمائة مليون سنة الماضية حدث الانقراض لخمس مرات . شيء مجهول حّول الأرض بلمح البصر إلى كوكب لا يصلح للحياة .

واحد أو أكثر من تلك الانقراضات حدث بسبب سيناريوهات كبيرة ليوم الحساب من طراز أفلام هوليود . فإذا ما اصطدم جرم كبير بالأرض، مثلا ، فان الاصطدام سيسبب زلازل ضخمة يمكن أن تهز العالم كله، و تملأ الهواء بأتربة تحجب أشعة الشمس لسنوات عدة، و بالنتيجة تدمر موارد الغذاء مما يقود إلى المجاعة . لقد حدث ذلك من قبل: فقد انقرضت الديناصورات من على وجه الأرض قبل خمس و ستين مليون سنة بسبب جرم سعته عشرة كيلومترات اصطدم بالأراضي المحيطة بالمكسيك .

تقول مونيكا غريدي، خبيرة النيازك في الجامعة المفتوحة، إنها ليست مسألة " إذا " و إنما مسألة "متى" يصطدم نيزك قريب بالأرض و يدمر هذا الكوكب. الكثير من النيازك الصغيرة تتفتت عند وصولها إلى محيط الأرض، لكن هناك نيزكا تبلغ سعته اكثر من كيلومتر واحد سيصطدم بالأرض كل بضع مئة ألف سنة، و آخر اكبر من ستة كيلومترات سيصطدم بها كل مائة مليون سنة مما قد يسبب انقراضا جماعيا (طبعا نحن بعيدون عن هذا الحدث).

الكوارث الطبيعية الأخرى تشمل التغيرات المفاجئة في المُناخ آو الانفجارات البركانية الكبيرة. كلها قد تسبب كوارث عالمية تتلاشى فيها أجزاء كبيرة من حياة الكوكب، لكن بما أننا بقينا أحياء على مدى مئات الآلاف من السنين و نحن مهددون بهذه الكوارث فمن غير المحتمل أن يحصل شيء خلال القرون القليلة القادمة .

بالإضافة إلى ذلك فان تهديدات الفضاء لوجودنا كانت دائما موجودة معنا، رغم إنها أحيانا تجعلنا نكتب عن اصطدام مجرتنا" درب التبانة" ، مثلا، مع الكوكب المجاور " المرأة المسلسلة" . الأمر الشائع في كل هذه التهديدات هو أننا لا نستطيع فعل شيء حيالها حتى مع علمنا بوجود الخطر عدا محاولة معرفة كيف سنعيش بعد الحدث .

لكن في الحقيقة، أن الأكثر خطورة على البشر قد يأتي من أفعالهم. إن جنسنا له قدرة فريدة في تاريخ الحياة على الأرض و هي أننا أول من يستطيع إعادة بناء العالم، لكن في نفس الوقت يمكن أن ندمره أيضا .

إن مخاطر الوجود تعتبر ظاهرة جديدة نسبيا. يكتب نك بوستروم، الفيلسوف و مدير معهد مستقبل البشرية في جامعة أكسفورد قائلا " باستثناء النيزك المدمر للجنس البشري أو اصطدام احد الأجرام، لم تكن هناك مخاطر كبيرة في تاريخ البشرية حتى منتصف القرن العشرين و بالتأكيد لم يكن باستطاعتنا أن نفعل شيئا حيالها" .

إن التهديدات التي يسببها البشر هي تهديدات فعلية نجمت عن تغيير المُناخ و التلوث المفرط و استنزاف الموارد الطبيعية و جنون الأسلحة النووية . نحن ننشغل بالجينات و الذرات على حساب هلاكنا. تقنية الخلايا و علم الأحياء التركيبي وتعديل الجينات تقدم لنا غذاء أفضل ودواء أكثر أمانا و عالما أنظف، لكنها في ذات الوقت قد تضرنا إذا ما أسأنا تطبيقها أو استخدمناها بلا عناية.

حذر مارتن ريز، عالم الفلك البريطاني والرئيس السابق للجمعية الملكية، في كتابه لعام ٢٠٠٣ " قرننا الأخير " من احتمال بقاء الحضارة البشرية إلى ما بعد ٢١٠٠ لا يتجاوز ٥٠٪ يقول بوستروم إن أول مخاطر الوجود التي صنعها الإنسان، كان التفجير الأول للقنبلة الذرية. في حينها كانت هناك مخاوف من أن ذلك التفجير سيولد سلسلة من ردود الفعل من خلال "قدح شرارة" المحيط رغم علمنا باستحالة ذلك ماديا . نقاط الخطر المهمة مازالت تأتي من الانجازات الناجحة لماضينا القريب. فمجتمعنا مرتبط و مبرمج بشكل لم يسبق له مثيل مما جلب لنا فوائد كبيرة من حيث التجارة و المعرفة و التعليم و الاتصالات. إلا أن نفس هذه الارتباطات يمكن أن تنشر الفيروسات(البشرية و الحاسوبية) بشكل أسرع. حيث يمكن أن تتهادن الخلية الإرهابية الماهرة (أو الجهاز الذكي) مع منظومات الطاقة و تسرق أو تلغي البيانات المالية و تدمر سلسلة التجهيز، و كل ذلك يهدد وظيفة العالم العصري. كما يمكن لفشل النظام الرقمي في الولايات المتحدة أن ينتشر إلى الصين أو استراليا في غضون ثواني .

ربما من باب المجاز أن نقول بان مجال التهديدات الكبيرة يصبح أكبر كلما زادت غفلتنا عن فهم الكون.

علينا أن نفهم بان العالم يمكن أن يتلاشى من الوجود بلمح البصر بسبب نوبة من الدمار، إذا ما فهمنا الجزيئات الكمية و نشأة الكون . لقد بدأنا نفهم بان ما نسميه "الزمن" قد يختفي يوما ما من كوننا مما يجعل الحركة أو الاتجاه لا معنى لهما.

اسم الكتاب: نهاية العالم
المؤلف: مجموعة مؤلفين
ترجمة: عبد الخالق علي

إمبراطورة عاشت لشعبها

هذا الكتاب طال انتظاره، وهو للمؤرخ روبرت ميسي، الذي بلغ الـ ٨٢ من عمره. وهذا الكتاب يتفوق على عشرات من المؤلفات التي صدرت عن الإمبراطورة الروسية التي كانت لا تتضمن غير حقائق تاريخية ثابتة. وقد أمضى ميسي ربع قرن في الدراسة والبحث كي يصدر كتابه أشبه برواية ممتعة.

ويتحدث الكتاب عن الظروف العديدة الجيدة التي سهلت عملية انتقال السلطة إلى كاثرين للسيطرة على الإمبراطورية الروسية في ذروة صعودها.

وكانت تلك الإمبراطورة قد بدأت حياتها عام ١٧٢٩، باسم صوفيا اوغاستا فريدريكا: أميرة ألمانية قليلة الشأن، سلمتها والدتها في الحال لمربية مدمنة على الكحول، في حين اتجهت مشاعرها كافة كأم نحو ولد ستنجبه فيما بعد، قد يتسلم إمارة والده فيما بعد. ولكن ذلك الابن المريض الذي جاء إلى الحياة بعد صوفيا بـ ١٨ شهرا، وتوفي وهو في الـ ١٢ من عمره. ولم تجد الأم آنذاك غير الالتفات إلى المصدر الوحيد الذي قد يحفظ لها مكانتها وموقعها، ونشأت صوفيا وهي حريصة على بناء شخصيتهاعلى: الاستماع إلى الآخرين والتصرف بتواضع، وهما عاملان ساعداها في حياتها السياسية فيما بعد عندما أصبحت إمبراطورة روسيا والحاكمة التي لا ند لها. لقد أرادت "السلطة" وأرادت أيضا الشيء الذي لم تستطع الحياة يوما بدونه وهو "الحب"، وحصلت على الاثنين – ليس من الزوج الذي كان بانتظارها.

وكما ذكرنا، فان الظروف مؤاتية بالنسبة لصوفيا. فعندما تطلعت الإمبراطورة اليزابيث إلى ما حولها، لم تجد من تخلفه على العرض بعدها، غير ابن عمها بيتر، والذي انتزع من مقره في هونشتاين إلى سان ببطر سبرغ. وعندما تطلعت إليه ووجدته في الـ ١٤ من عمره، ضعيف البنية والعقل، بدأت تبحث عن عروس له، قد تنجب لهم ولي العهد. وتم تقديم العشرات من الأميرات للإمبراطورة ولم تنجح إلا صوفيا، في تلك العروض.

كانت لصوفيا مزايا عدة فمنها ثقافتها، التي أهلتها للترشيح زوجة لبيتر. وبدأت صوفيا في الحال في قراءة وبحث كل ما يمت صلة إلى روسيا- الكنيسة، اللغة والعادات – مما أثر كثيرا على تغيير شخصيتها. وكانت صوفيا مجتهدة في دراستها، تلح على مدرسها زيادة عدد ساعات الدرس، وما أن تستيقظ صباحا حتى تهرع إلى مكتبها، والى حفظ مفردات اللغة الروسية، وهي تسير في قاعة باردة جداً. وبسبب حبها لروسيا، تعلمت تلك اللغة التي بدت صعبة بسرعة، وهو الأمر الذي ساعدها بعدئذ.

ومع زواج صوفيا وتحولها إلى الأرثوذكسية، تغير اسمها إلى كاثرين، وأصبح بجانبها زوج في الـ١٧ من عمره، يثير الضحك في كل ما يفعل، وهو لم يكن غبيا بل مجنونا. كان مدمنا على الكحول، وقد شجعه على ذلك الذين كانوا يرتدون الملابس العسكرية حسب أوامره، للقيام باستعراضات أمامه عندما لم يكن مشغولا بعدد من الدمى على شكل الجنود، والتي ظل يأخذها معه إلى الفراش عند النوم.

إن الأشهر الستة التي أمضاها في السلطة والتي بدأت من ١٧٦١، كانت لا تحتوي غير محاولاته لتغيير الكنيسة الروسية من الأرثوذكسية إلى البروتستانتية.

ولم يكتف بذلك فحسب، بل انه ارتدى الزي الرسمي البروسي من خلال ممارسته العمل وهو الأمر الذي أثار روسيا (إذ كانت بروسيا عدوة لها وقد أدى هذا الأمر إلى حدوث انقلاب ضده وإقصائه عن العرش في عام ١٧٦٢. أما كاثرين فكانت ذكية وهي، ترتدي الزي العسكري الرسمي الروسي وتمتطي حصانا ابيض اللون، وتقود كتيبة من المشاة (١٤٠٠ جندي)، واعتقال زوجها العاجز، الذي بدا مثل يزون، متجاهلا التقارير التي تحدثت عن الانقلاب القادم، وانصرف للعزف على الكمان. وفي الوقت الذي وجهت أوربا بأجمعها اللوم لكاثرين لمقتل زوجها فيما بعد في السجن، فان يديها بقيتا غير ملطختين بالدم: وقالت الوثائق الرسمية أن سبب الوفاة ودرجة المسؤولية لم يتم التعرف عليها".

خلال الأعوام الثمانية اللاحقة، استمرت الإمبراطورة كاثرين في الظهور بالملابس الرسمية في كل استعراض عسكري في العاصمة من اجل رفع معنويات جيشها المحارب في تركيا. وكانت بذلك تريد الحصول على الإعجاب والقوة، وكأنها بذلك تبرهن لوالدتها على شخصيتها القوية، وأيضا لتكون مصدر إلهام لشعبها غير المتعلم بنسبة كبيرة. وقد نجحت بتلك التصرفات في اكتساب لقب، "ماتوشكا"، أي والدة كل روسيا. وعندما هدد مرض الجدري روسيا، أعلنت سلامة بلادها، وقامت بارتداء ملابس بسيطة وسارت بين الناس كي تبرهن لهم ذلك.

وقد أعلنت كاثرين نفسها، "الإمبراطورة العظمى" مثل بطرس الأكبر، وحلمت أن تجعل روسيا متقدمة مثل الدول الأوربية – وهي المعجبة بموتيسكو، تراسل أسماء شهيرة باستمرار مثل فولتير وديدرو، وكانت تستشير الأخير ليساعدها في الحصول على الأعمال الفنية البارزة لتضمها إلى مجموعة الهيرميتاج.

وخلال اندلاع الثورة الفرنسية، انصرفت إلى محاربة المتمردين والقضاء عليهم، واضعة ثقتها في الطبقة النبيلة وتوسيع إمبراطوريتها وإغناء ثقافة البلاد.

وكاثرين، بعد انتظار ٧ أعوام لتحقيق زواجهما (فعلا)، وجدت نفسها ما تزال عذراء، وأدركت أن الوقت يمضي سدى دون أن تحصل على ولي للعهد. وبدأت عند ذاك في إقامة علاقات مع سلسلة من العشاق يمنحونها ما تصبو إليه من حب وابن. بمثابة آلهة لشعبها وتاريخهم.

عن الاوبزرفر

الكتاب: كاثرين العظمى
تأليف: روبرت ك. ميسي
ترجمة: ابتسام عبد الله